

البقية المختارة

عدد1: "هل أدار الله ظهره لشعبه تماماً؟ حاشا! إذا كان الأمر كذلك فكيف لي أنا اليهودي من اليهود، أن أتجدد؟ لو أن الأمة قد رُفُضت بالكامل، لكنت أنا قد رُفُضت معها."

لم يكن هناك أحد أكثر يهودية من بولس الرسول، فلو كان كل اليهود قد رُفُضوا؛ لكان هو بالأولى من المرفوضين، لكن خلاصه كشخص، يبرهن حقيقة ما سيقوله في العدد التالي.

عدد2: "لم يرفض الله شعبه الذي سبق فعرفه".
لقد استخدم بولس الرسول من قبل التعبير "سبق فعرفه" في الآية 8: 29 بمعنى "المحبة الحميمة المسبقة"، حيث أوضح أن كل الذين أحبهم الله محبة حميمة أبدية، سيمجدّهم دون شك. وهذا يوضح ما يقوله الرسول هنا: "يوجد ضمن شعب إسرائيل أناس معيّنون، قد أحبهم الله محبة أبدية واختارهم ليخلصهم. أما الأمة كأمة فقد رُفُضت، كما أوضح من قبل. لكن لأنه يوجد أفراد مختارون داخل الأمة اليهودية؛ فلا يمكن أن يُقال إن الأمة قد رُفُضت بالكامل. الله لم يرفض الشعب الذي سبق فعرفه".

عدد2ب - 4: "هل تتذكر الأيام المظلمة التي عاصرها إيليا النبي، عندما بدا أن كل إسرائيل الأرضي قد تحول عن الله؟ لقد زعم النبي إيليا أنه وحده دون سواه الذي بقي ليعبد الله. لقد كان متأكدًا أن الأشرار سيقتلونه، ومع ذلك، ورغم هذا العصر المُحبط، يؤكد له الله أنه يوجد سبعة آلاف لا يزالون مخلصين لله."

في أكثر الأوقات شرًا وعدم إيمان، تظل هناك بقية من الأشخاص الذين قد اختارهم الرب وحفظهم.

عدد5: "هذا هو الحال الآن أيضًا. حتى في هذا الوقت الحاضر توجد بقية من الذين لا يشاركون إسرائيل في عدم الإيمان العام؛ وهذا لأنهم بالنعمة قد اختيروا من الله."

عدد6: "إن الله لم يختَر هؤلاء، لأن فيهم شيئًا قد أعجبه. لو كان الأمر كذلك، لكان اختيار الله مبنياً على أعمالهم وليس على نعمته، ولكن اختيار الله هو اختيار النعمة كلية، وليس موقوفاً على أعمال الذين اختارهم."

لا يمكن أن يفوتنا ما يقوله بولس الرسول، ألا وهو إن إسرائيل – كأمة – قد رُفضت، لكن الشعب الذي لم يرفضه الله هو شعب المختارين، إسرائيل الله الروحي، وبعض هذا الشعب هم أعضاء أيضاً في إسرائيل الأرضي. إن كل ما يُذكر عن اليهود هو أن إسرائيل الحقيقي بينهم كان ويكون بقية فقط، ولم يتكون من كل الأمة على الإطلاق. هذا هو بالتحديد ما سيتحدث عنه بولس الرسول.

عدد7: "إن إسرائيل كأمة لم تجد البر والخلص الذي كانت تبحث عنه، لكن البقية المختارة فقط، هي التي وجدت ذلك؛ وأما الباقون فتقسَّوا. لقد كانت أمة اليهود – ولا تزال – مكونة من أولئك المختارين للمجد، ومن أولئك المرفوضين الذين قد أعميت عيونهم."

حتى الآن لا يوجد ذكر عن التجديد الروحي لإسرائيل (كأمة). على النقيض من ذلك يوجد تأكيد على ما ذكر الآن في اقتباسين بالعهد القديم: الأول في العدد الثامن، حيث يستشهد بولس الرسول بما جاء في إش29: 10، وهذا يؤكد أن الله قد أصاب الأمة بالسبات، حتى أنهم لم يستطيعوا أن يروا أو أن يسمعوا؛ لذلك لم يستفيدوا من

امتيازاتهم الروحية. فالظروف التي سادت في ذلك الوقت، هي نفس الظروف التي تسود الآن، كما يعلن الرسول، وعلينا أن نتذكر أن موضوع نبوءة إشعياء النبي كان أن الله سيرفض إسرائيل بسبب خطيتها وأن بقية فقط من الأمة سوف تخلص. عوضاً عن ذلك، فإن الأمم ستدخل إلى الخلاص الذي وُعد به إبراهيم. إذاً، فإن اقتباس بولس الرسول من هذا السفر له دلالة خاصة، وهو يشرح الوضع الحاضر لإسرائيل. لقد كان تعليم بولس الرسول متوافقاً تماماً مع تعليم الأنبياء القدامى.

الاقتباس الثاني لبولس الرسول هو في الأعداد 9، 10، وهو مقتبس من مزمو 69: 22، 23. يفسر بولس الرسول هذا الاقتباس بأنه يُشير إلى أن امتيازات اليهود وشرايعهم والوعود التي كانت لهم قد صارت فُحاً لهم. نفس الأمور التي قصد الله منها خيرهم قد أصبحت حجر عثرة روحية لهم، وأبعدتهم عن الخلاص. وينتهي الاقتباس من داود بالقول "دائماً" أو "في كل حين" بمعنى إلى الأبد، ليُظهر أن هذه هي الحالة الدائمة للأمة اليهودية، ولا يجب أن نتوقع شيئاً خلاف ذلك.

القصد الإلهي

عدد 11: "وهكذا فقد عثر اليهود. ولكن هل كانت عثرتهم هي مجرد سقوط دون أي قصد إلهي؟ حاشاً! فنتيجة سقوطهم، صار غنى لكل العالم، فإذا لم يعد لليهود الآن امتيازاتهم الخاصة، فقد فتحت أبواب الخلاص لكل العالم؛ وبهذه الطريقة أنجز الله الوعد، الذي اقتبس في الأصحاح العاشر (10: 19 - 21). لقد أغاروا الله بعبادة ما ليست آلهة، وسوف يغيرهم الرب بقبول ما ليس أمة!"

عدد 12: "والآن، إذا كان رفض الأمة اليهودية صار بركات عظيمة للعالم كله، فكم وكم يكون القبول المطرد من التيار الجارف من اليهود المتجددين – الذين يشكلون اليهود

المخلصين – بالنسبة للعالم؟ إذا كان رفضهم له هذا التأثير العجيب، فكم سيكون تأثير البقية المختارة بالنعمة على العالم." "

لاشك أن بعض القراء سوف يدهشون من التفسير الذي وضعته هنا لكلمات بولس الرسول؛ لأنه ليس التفسير المؤلف، لكنه التفسير الصحيح، كما سنرى عندما نصل إلى عدد 25. إن تفسير كلمة (ملء) في ذلك العدد يعني "العدد الكلي للمختارين"، ولا أدري لماذا لا تُفهم هذه الكلمة هنا بنفس المعنى الذي وردت به في عدد 25؛ فالأعداد التالية تبرهن صحة هذا التفسير. ويواصل بولس الرسول الحديث، ليس عن شيء سيحدث في المستقبل، ولكن عن شيء يحدث، وقت كتابة الرسالة. إذا كانت كلمة "ملء" تشير إلى إعادة كيان أمة اليهود مستقبلاً – كما يعتقد الكثيرون – فلماذا يستخدم بولس الرسول هذه الكلمة ليدخل نفسه في مناقشة مستمرة للوضع الحاضر؟ وكيف يسبب الملء المستقبلي أن يمجد الرسول بولس امتياز كونه رسول الأمم، كما في عدد 13؟ يبدو من المعقول أن نفكر بأن بولس الرسول يرى نفسه كواحد من ذلك "الملء" الذي ذكره، والذي سيكون بركة للعالم بشكل لم يسبق له مثيل؛ لذا فأنا أعتبر أنه يمكن إعادة صياغة ما قاله بولس الرسول، بالطريقة الآتية:

عدد 13، 14: "أنا واحد من ذلك الملء. انظروا إلى البركات التي جاءت بالفعل إلى العالم من خلال يهودي واحد! إن سقوط اليهود قد أغنى الأمم؛ لكن البقية المختارة – الملء – قد أغنت الأمم أكثر كثيراً. هذه هي النقطة التي أريد أن أوضحها لكم. والحقيقة هي في هذا السؤال: مَنْ هو رسول الأمم؟ إنه يهودي مختار!" "

"وهذا ما يجعلني أقدر كثيراً المهمة التي منحها الرب لي، ورجائي أنه عندما يرى اليهود أن الكثيرين من الأمم يخلصون من خلال خدمة يهودي واحد، فإن ذلك يثير فيهم الغيرة. إنني أمل من خلال هذا أن أقود بعضهم إلى الخلاص". "

من الجدير بالملاحظة، أن رجاء بولس الرسول، ليس في خلاص كل الأمة. لقد كان رفض الأمة هو السبب في حزنه العميق، لكن عنده رجاء أن يكون هو أداة لخلاص بعض اليهود.

عدد15: "فإنه إذا كان رفض الأمة يعني مصالحة العالم؛ فماذا يعني خلاص بعض اليهود؟ إنه يعني حياة من الأموات!"

يجب علينا أن نلاحظ بعناية أن بولس لم يذكر شيئاً عن المستقبل، ولا مرة واحدة؛ فكل مناقشته تدور حول تقسّي الأمة واختيار النعمة داخل هذه الأمة. إن تقسّي الأمة قد تسبب في فتح باب الخلاص أمام الأمم، أي جاء بالبركة والمصالحة إلى العالم، لكن البقية المختارة من اليهود هي مصدر لبركات أعظم، كما يوضح لنا مثال بولس الرسول نفسه.

إن "الرفض" و"القبول" هما الشيطان اللذان كانا يسيران جنباً إلى جنب آنذاك ولا يزالان حتى الآن هكذا، غير أنه ليس هناك ذكر على أنهما مرحلتان متتاليتان من التاريخ. إن الشخص الذي يأتي إلى هذا النص بأفكار مُسبّقة، هو فقط الذي يمكنه أن يقتنع بوجود مرحلتين من التاريخ، لكن أن يخلص البعض – باختيار النعمة – من الخراب المطبق لإسرائيل، فلا بد أن يكون هذا هو المقصود بالقول "حياة من الأموات!".

ويصرّح الرسول بولس بنفس الشيء بكلمات مختلفة:

عدد16: "لا تفهموا كلامي بمعنى أن رفض الأمة يعني رفض كل شخص فيها. ليس هذا جزءاً من تعليمي على الإطلاق. لقد كانت الباكورة (إبراهيم.....الخ) مقدسة وكذلك الحصاد. الجذر مقدس، وكذلك الأغصان أيضاً."

لكن ذلك الحصاد وتلك الأغصان تتكون من أشخاص وليس الأمة ككل، كما سنكتشف بعد قليل، فاليهود المؤمنون هم أغصان مقدسة من أصل مقدس، أما اليهود غير المؤمنين فقد نُزِعوا من هذا الأصل، وطعمَ مكانهم المؤمنون من الأمم.

إن قصد الرسول هو أننا يمكن أن نتوقع أن نرى استمرار بقية النعمة من خلال الأصول اليهودية للنبات، فالنبات القديم لم يخلو تماماً من الحياة، لكن الحياة التي فيه، تتكون من أولئك اليهود الذين سيؤمنون بالإنجيل.

بعض الاعتبارات الهامة

يمكن أن يكون هناك تحفظ لدى بعض القراء، بشأن التفسير الذي قدمته لهذه الأعداد. لكن هؤلاء عليهم أن يدركوا أن الرسول يكتب لكنيسة أممية، فهل من المعقول أن يصرف بولس الرسول أكثر من خمس هذه الرسالة، في شرح أمر ليس له أية علاقة حيوية بقرائه – ألا وهو إعادة كيان اليهود؟

بمجرد أن نفهم الأصحاحات بالطريقة التي قد أوجزناها؛ فإنها تصبح وثيقة الصلة بالموضوع؛ فالرسول يشرح أن الأمم ليسوا مؤمنين من الدرجة الثانية، بل هم أعضاء وشركاء في شعب الله، الذي لن يُرفض على الإطلاق. ولكن مؤمني الأمم مدينون للمؤمن اليهودي، لكنهم ليسوا أقل رتبة منه بأي شكل. إن مؤمني الأمم ليسوا بعد غرباء عن عهد الموعد؛ لكنهم شركاء اليهود المؤمنين في الماضي وفي الحاضر أيضاً، وأهل بيت الله (أفسس 2: 11 – 22).

عندما يقرأ المؤمنون الأُمَميون هذه الرسالة، سيتمكنون أن يروا أنفسهم في مركز مقاصد الله؛ وليس مجرد شيء ثانوي لا قيمة له، وسيكون تقديرهم لنعمة الله التي اتجهت نحوهم أكثر من ذي قبل.

إن الذين ليسوا شعباً لله، قد أصبحوا شعب الله الخاص! والذين ليست لهم الامتيازات، أصبحوا مشمولين بكل الامتيازات المحفوظة لشعب الله المختار. المسيحيون المؤمنون – سواء كانوا من اليهود أم من الأمم – هم حدقة عين الله. إن الله لا يحقق قصده في أمة أرضية لكن في الكنيسة، وقد تركزت اهتمامات المؤمنين في هذه النقطة.

إن المفهوم الخاطئ لهذا النص، أدى إلى أن تشغل أذهان العديد من المسيحيين انشغالا زائداً بالسؤال عن مستقبل اليهود، الأمر الذي أدى بالتالي إلى مشاعر مفرطة بالنسبة للدولة الأرضية التي تحمل في الوقت الحاضر اسم "إسرائيل"، وأصبح من المسلم به غالباً أن كل الذين يؤمنون بالإنجيل، ينبغي أن يساندوا إسرائيل سياسياً؛ وهذا عائق خطير أمام الكرازة في المنطقة العربية.

ليكن كل منا مخلصاً للسلطات الخاصة التي وضعتها عناية الله علينا. هذه النقطة سوف نتحدث عنها في الفصل الثالث عشر. ليكن اهتمامنا بدولة إسرائيل الحديثة، لا أكثر ولا أقل من اهتمامنا بالدول الأخرى، وبتقدم الإنجيل فيها. لاشك أن هناك نسبة عالية جداً من اليهود، بين سكان إسرائيل الحالية، وعلينا أن نعمل ونصلي لدعوة الله للبقية المختارة من اليهود والأمم، وعلينا أيضاً أن نعمل ونصلي من أجل اليهود والأمم من جيراننا، وأن نشجعهم أن يطلبوا الامتيازات، التي صارت لنا – نحن المؤمنون – كإسرائيل الحقيقي.

اقرأ رومية 11: 17 – 36

هل أنهى الله علاقته باليهود؟ (2)

تؤكد الأعداد التالية التفسير الذي سبق اقتراحه، وتؤكد على وجه الخصوص حقيقة أن بولس لا يناقش ما إذا كان إسرائيل كأمة سوف تعود